مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: حملة الكونغو – النيل 1896 – 1898
اسم الكاتب: حلا العلي، أ.د. عقيل نمير
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2750
تاريخ الاسترداد: 2025/05/10 06:41 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة – Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية
المجلد 147 العدد 2 (2023): 128-146

Damascus University Journal of Historical Studies
Vol 147 No. 2 (2023) : 146-128

حملة الكونغو - النيل 1896-1898

حلا العلي[1]، أ. د. عقيل نمير[2]

[1] تاريخ حديث ومعاصر – كلية الآداب والعلوم الانسانية – جامعة دمشق.
[2] تاريخ حديث ومعاصر – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق.

الملخص:

يسعى البحث لدراسة حملة الكونغو- النيل منذ انطلاقها من غرب إفريقيا عام 1896، حتى جلاء الحملة عن السودان عام 1898، من خلال التعريف بقائد الحملة مارشان، ودراسة كل من الأسباب البعيدة والسبب المباشر للحملة، و انطلاق الحملة، و خط سيرها، وردود فعل المهديين على الوجود الفرنسي على أراضيهم، ومن ثم الموقف الإنكليزي والمحادثات الدبلوماسية بين إنكلترا والفرنسيين التي انتهت بقبول فرنسا خيار الانسحاب من المنطقة.

الكلمات المفتاحية: فرنسا، النيل، فشودة، المهدية، احتلال.

تاريخ الايداع: 2022/5/18
تاريخ القبول :2022/6/24

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص
CC BY-NC-SA 04

ISSN: 2789-7478 (online)
http://journal.damascusuniversity.edu.sy/

Congo- Nile Campaign 1896- 1898

Hala Mouayad Al-Ali[1] , **Prof. Akil Nomir**[2]

1 Modern and contemporary history - Faculty of Arts - Damascus University.
[2] Modern and contemporary history - Faculty of Arts - Damascus University.

Summary

The research seeks to study the Congo- Nile campaign from its launch in West Africa in 1896 until the evacuation of the campaign in 1898, by introducing the leader of the campaign, studying the remte causes and the direct cause of the campaign, the launch of the campaign, its course, and the reactions of the Mahdists to the French presence on their lands, and then the situation The English and diplomatic talks between the English and the French accepting that ended with France accepting the option to withdraw from the region.

Key Words: France, Nile, Fashoda, Mahdia, Occupation.

Received:2022/5/18

Accepted:2022/6/24

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

المقدمة:

كان السودان منذ زمن قريب محط تنافس بين القوى الدولية من أجل السيطرة عليه، وذلك لغناه الشديد بالثروات الطبيعية، وشدة بأس رجاله، وكان الحكم المصري أول قوة استعمارية تطأ أرض السودان، وهو ما لفت انتباه الأوروبيين إلى هذه البقعة من القارة الإفريقية، فاستعر التنافس من أجل السيطرة عليه ولا سيما بعد قيام الثورة المهدية، وكان لإنكلترا كسب السبق في هذا المجال، تنافسها فرنسا، وقد مثلت حملة الكونغو. النيل أحد مظاهر هذا التنافس.

ويتناول البحث حملة الكونغو. النيل منذ أن قررت فرنسا إرسالها وحتى انسحابها من السودان.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

تأتي أهمية البحث من عدة اعتبارات يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. أهمية المرحلة التي كان يمر بها السودان في الفترة الممتدة ما بين عامي 1896- 1898 من زعزعة الحكم المهدي للسودان، والتقدم المصري . الإنكليزي في أراضيه منذرة باحتلال كل من مصر وإنكلترا للسودان.

2- التحدي الفرنسي لإنكلترا بتهديد أكثر جزء حيوي من مستعمراتها، والتهديد بقطع النيل عن مستعمرتها في مصر مما سيشكل ضربة كبيرة لإنكلترا في مصر.

3. الوضع الحرج الذي كان يعيشه السودان لدى وصول مارشان إلى فاشودة، فقد كان السودان يمر بمرحلة انتقالية؛ تمثلت بسقوط الدولة المهدية واستقبال السكان للحكم الجديد والذي لم يكن معروفاً بعد، هل ستحكم إنكلترا أم فرنسا أم مصر؟

أما عن أسباب اختيار البحث فيأتي من عدة أسباب وهي:

1. الأهمية السابقة الذكر.

2. لأن البحث متعلق بإحدى المراحل التاريخية التي عاشها السودان.

3- لأن المراجع تحدثت عن اللقاء الإنكليزي الفرنسي فقط تحت مسمى حادثة فاشودة 1898، ولم يتطرق أي منها للحملة بشكل كامل، كما لم يرد فيها اسم حملة الكونغو. النيل.

وقد اختير العام 1896 بداية البحث لأنه العام الذي انطلقت فيه الحملة، كما اختير العام 1898 نهاية البحث لأنه العام الذي انتهت فيه الحملة.

أما عن سبب اختيار عنوان حملة الكونغو. النيل فلأنه المصطلح الفرنسي الرسمي لهذه الحملة.

<u>الهدف من البحث:</u>

يهدف البحث إلى:

1. تسليط الضوء على المرحلة الحرجة التي كان يعيشها السودان.

2. إبراز ردة فعل فرنسا من الغزو المصري . الإنكليزي للسودان.

3. بيان أسباب تأخر فرنسا في الرد على التدخل الإنكليزي في السودان.

الإشكالية:

يتناول البحث حملة الكونغو النيل في بيان الأسباب التي حملت فرنسا على إرسال الحملة، والصعوبات التي اعترضت سير الحملة، وموقف الدولة المهدية من احتلال الفرنسيين لفاشودة، وأخيراً المفاوضات الفرنسية الإنكليزية في هذا الشأن، وتتركز إشكالية البحث حول أهداف فرنسا من الحملة والنتائج الحملة التي حصدتها من جراء إرسالها، وبالتالي فإن السؤال الذي يطرح نفسه: إلى أي مدى نجحت فرنسا في تحقيق أهدافها من الحملة؟

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج التحليلي، الذي يقوم على قراءة الأحداث والمعلومات الموجودة في المصادر والمراجع وتحليلها، والوصول إلى نتائج واقعية.

كما اعتمد على المنهج الوصفي، وربط الحقائق المتجمعة، مما يساعد على تكوين صورة واضحة للموضوع.

1. التعريف بقائد الحملة جان باتيست مارشان(Jean- Baptiste Marchand):

هو رحالة ومغامر ومستكشف وضابط فرنسي، يعد من أبرز الضباط الذين عملوا في خدمة الاستعمار الفرنسي في القارة الإفريقية سواءً من الناحية العسكرية أو من ناحية الكشوف الجغرافية.

ولد مارشان في 22 تشرين الثاني 1863، في قرية تواسي(Thoissey) في نواحي فرنسا[1]، لأب يعمل نجاراً، وهو الابن الأكبر من بين إخوته الأربعة[2]، تلقى مارشان تعليمه في إحدى المدارس القريبة من منزله[3]، وقد دفعه حبه للمغامرة إلى دخول مدرسة المشاة البحرية في سن الثامنة عشر[4] أي في عام 1881 , وفي عام 1886 التحق بمدرسة سان ميكسان(Saint Maixent) العسكرية[5]، وتخرج منها عام 1887 برتبة ملازم ثانٍ[6].

كان مارشان معجباً بنابليون بونابرت، وكان يحلم بخوض مغامرة حربية كما فعل نابليون، وقد جاءته الفرصة في عام 1887 عندما قررت حكومة فرنسا إرسال

مارشان إلى السنغال حيث أصبح قائد حصن نديا غو(N'diago) شمال سانت لويس[7].

عاش مارشان أثناء خدمته في إفريقية الغربية العديد من المغامرات، حيث شارك القائد لويس أرشينارد[8](Louis Archinard) في حروبه ضد إمبراطورية التكرور[9] عام 1889، حيث أصيب أثناء القتال بجرح خطير في رأسه كاد أن يودي بحياته، إلا أنه نجا بفضل مهارة الطبيب المرافق للحملة[10]، وقد حصل على وسام جوقة الشرف نظراً لما أبلاه من تفاني وإخلاص في القتال[11].

---

1 Poirier, J(S.D). de l'Oubanghi a Fachoda Marchand et la Mission Congo- Nil. Paris : France. J'Lefort, Imprimeur, Editeur A'Taffin-Lefort, Successeur Lille. P: 9.

2 Perrenet(S.D). Fachoda l'epopee de Marchand. Limoges: Le France. Marc Barbou Editeur Rue Puy- Vieille- Monnaie. P: 19.

3 Perrenet(S.D). P: 20.

4 Poirier(S.D). P: 10

5 Poirier(S.D). P: 10.

6 Perrenet(S.D). P: 23.

7 Perrenet(S.D). P: 28.

8 لويس أرشينارد(1850- 1932): ولد في 11 شباط في مدينة لو هافر(Le Haver) ، التحق بخدمة الجيش الفرنسي منذ عام 1870، حيث شارك في الحرب الفرنسية البروسية، ومن ثم انتقل إلى الخدمة في السودان الغربي.

Archives nationales :site de Paris, N0 de notice L 0046072.

وبعد هذه الحملة منحت فرنسا مارشان فرصة لتحقيق طموح آخر لديه ألا وهو حب الاستكشاف ، فقد كلفته عام 1890 بمهمة استكشاف منابع النيجر حيث قام بدراسة مناطق أعالي النيجر[12].

وبعد ذلك عاد مارشان إلى ميدان القتال في حرب أرشينار على سيجو(Segou) عاصمة إمبراطورية التكرور، التي انتهت بالقضاء على الإمبراطورية قضاءً مبرماً[13]وقد رقي على أثر هذه المعركة إلى رتبة ملازم أول[14].

وبعد ذلك انتقل مارشان من ميدان القتال إلى ميدان العمل السياسي، حيث صدر أمر بتعيينه مقيماً لفرنسا في سيكاسو(Sicasou) عاصمة مملكة كيندوجو[15]، وقد تمكن مارشان بفضل موقعه الجديد من متابعة دراسة نهر النيجر[16].

وفي عام 1892 رقي مارشان إلى رتبة نقيب[17]، وأمرته حكومته بإيجاد نقطة اتصال بين النيجر وخليج غينيا[18]، وقد تكللت مهمته بالنجاح حيث تم ربط النيجر بساحل غينيا عن طريق خط من سكك الحديد[19].

وبعد إتمام مهامه في منطقة أعالي النيجر انتقل مارشان إلى العمل تحت إمرة لويس بنجر[20](Louis Binger) حاكم مستعمرة ساحل العاج، حيث كلف مارشان بمهمة استكشاف وادي نهر باندامما[21](Bandama) على أن تنتهي مهمته بعد اتفاقية مملكة كونغ[22] (Kong)[23]، حيث بدأ مارشان تنفيذ مهمته في شهر أيار 1893، وقد أسفرت مهمته عن تأسيس عدة حصون ما بين المستعمرة الفرنسية ومملكة كونغ[24].

---

[9] إمبراطورية التكرور: إمبراطورية إسلامية تأسست عام 1849 في منطقة أعالي السنغال على يد القائد عمر الفوتي الذي خاض حروبه مع الوثنيين الذين كانوا منتشرين في المنطقة. إبراهيم، عبد الله(1989). المسلمون والإستعمار الأوروبي لإفريقيا. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص: 6.

[10] Poirier(S.D). P: 11.

[11] Perrenet(S.D). P: 47.

[12] Poirier(S.D). P: 12.

[13] أحمدو شيخو، ابن عمر الفوتي وخليفته. ذهني، إلهام(1988). جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850. 1914. الرياض: السعودية. دار المريخ. ص: 50.

[14] Poirier(S.D). P: 14.

[15] تأسست في القسم الشمالي الغربي من مالي، على يد قبائل الماندنغو خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومن ثم امتد نفوذها جنوباً في ساحل العاج، إلا أن سكان ساحل العاج لم يلبثوا أن طردوا حكامها، لينحصر نفوذها من جديد في مالي.

Bernus, E(1960). Kong et sa Regin Etudes Eburneennes. Direction de la Recherche Scientifique Ministere de L'education Nationale de la Republique de Cote D'ivoire_ Abidjan. P: 263.

[16] Poirier(S.D). P: 14.

[17] Perrenet(S.D). P: 58.

[18] Poirier(S.D). P: 15.

[19] Perrenet(S.D). P: 68.

[20] لويس بنجر (1856. 1936): ولد في 14 تشرين الأول، في ستراسبورغ (Strasbourg)، مستكشف وضابط فرنسي، سافر في رحلة استكشافية من السنغال إلى النيجر عام 1887، ووصل إلى غراند بسام عام 1889، وعاد في إلى ساحل غينيا عام 1892 للإشراف على المستعمرات الفرنسية هناك.

Archives nationales : site de Paris, N0 de notice L 0243010 .

[21] نهر باندامما: ينبع من منطقة بونديالي(Boundiali)، ويصب في المحيط الأطلسي، يتألف من فرعين باندامما بلان(Bandama-blanc) وباندامما روج(Bandama-roue)، يبلغ طوله الإجمالي 1050كم.

République De Cote d'Ivoire, version provisoire, Quatrième rapport national sur la convention de la diversité biologique, Mars 2009,P: 12 .

[22] تقع في الجزء الشمالي الشرقي من ساحل العاج

La Chatelier, A(1899) . L'islam Dans L'Afrique Occidentale. Paris: Le France. G. Steinheil Editeur 2 Rue Casimir Delavigne 2. P: 248.

[23] Wahl, M(1896) . La France aux colonies. Paris: Le France. ancienne maison quanin librairies imprimeries réunîtes May & motteroz directeurs. P: 158.

[24] Journal official de la République françaisé Lois et décrets Parlementaires, chambre des députes, 27 Juin 1895, P: 1860.

ومن ثم كانت حملة العقيد بارفيه مونتيل[25] (Parfait Monteil) ضد قوات ساموري[26] عام 1894. 1895 ،حيث انضم إليها مارشان وشارك في قتال قوات ساموري، إلا أن الحملة خسرت أمام ساموري توري ليعود بعدها مارشان إلى فرنسا[27] حيث ظل فيها حتى كلفته الحكومة بقيادة الحملة على السودان ورفع العلم الفرنسي على ضفاف النيل[28].

وهكذا أخذ مارشان يتدرج بالمناصب والمهام منها ما هو عسكري ومنها ما هو دبلوماسي ومنها ما هو علمي، ما كان له أثر بالغ في صقل شخصيته، وجعله قائداً محنكاً قادراً على تسلم قيادة المهام، بدلاً من العمل تحت إمرة القادة الفرنسيين في إفريقيا الغربية، فأعطته الحكومة الفرنسية الثقة لقيادة حملة كونغو. النيل، تلك الحملة التي كانت من الأهمية بما كان؛ لأنها الحملة التي ستضع حداً لتوسعات إنكلترا في إفريقيا الشرقية، وتجبرها على احترام رأي فرنسا في كل خطوة ستخطوها من أجل مد نفوذها، ومن هنا تأتي أهمية تعيين مارشان قائداً للحملة. (رأي الباحث)

2. أسباب توجه فرنسا إلى السودان:

كان لاهتمام فرنسا بالسودان عدة أسباب منها ما هو بعيد؛ أي الدوافع التي حدت بفرنسا للقيام بالتوسع عموماً، ومنها أسباب مباشرة؛ وهي الدوافع التي جعلت فرنسا ترسل حملة الكونغو. النيل إلى منطقة فاشودة حصراً.

1.2. الأسباب البعيدة:

أ. الأسباب السياسية والعسكرية: شهد القرن الثامن عشر ومطلع القرن الثامن عشر عدة هزائم حلت بفرنسا في قارة أوروبا، تسببت في خسارتها لمستعمراتها في قارة أمريكا والهند، فأخذت تفكر في تأسيس إمبراطوريتها الاستعمارية من جديد[29]، ولكن هذه المرة في إفريقيا[30]، ثم كانت هزيمة فرنسا أمام ألمانيا عام 1871 واقتطاع ألمانيا الألزاس واللورين، ما جعل فرنسا تعقد العزم على التوسع في إفريقيا[31]، وقد صرح ليون غامبيتا[32](Leon Gambetta) عن رغبة فرنسا في التعويض عن كارثة الراين وذلك بتأسيس مستعمرة في إفريقيا[33].

ب ـ الأسباب الاقتصادية: كان القرن التاسع عشر عصر الثورة الصناعية في أوروبا، والتي كان لها دور كبير في حركة الاستعمار، فقد تطلب الانقلاب الصناعي تأمين المواد الأولية لدفع عجلة الإنتاج من جهة، وإيجاد أسواق جديدة لتصريف الفائض من الإنتاج من جهة، فاتجهت الدول الأوروبية بأنظارها صوب إفريقيا[34].

أما بالنسبة لفرنسا بشكل خاص، فقد أدت خسارتها للألزاس واللورين إلى نقص حاد في المواد الأولية ما دفعها إلى التوجه لإفريقيا[35]، وقد عبر الاقتصادي الفرنسي بول لوري(Paul Lory) عن هذه الأزمة بمقولته التي أوردها رولانو في كتابه فرنسا في

---

[25] بارفيه مونتيل(1855. 1925): ولد في 18نيسان، في مدينة باريس، حاز على بكلوريوس في العلوم عام 1873، التحق بمدرسة سانت سير العسكرية عام 1874، التحق بسلاح المشاة البحرية عام 1876، وفي العام التالي أرسلته الحكومة الفرنسية إلى السنغال، وبين عامي 1890. 1892 قاد حملة استكشافية، ربطت سانت لويس بمدينة طرابلس الليبية، Archives nationales : site de Paris, N^0 de notice L 1917026.

[26] ساموري توري: مؤسس إمبراطورية الماندنغو في أعالي النيجر. لمعرفة المزيد ينظر: العلي، حلا(2020). دور إمبراطورية الماندنغو في السودان الغربي في مقاومة الاستعمار الفرنسي 1874. 1898. رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. قسم التاريخ. الكلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة دمشق. دمشق: سوريا. ص: 15. 17.

[27] Poirier(S.D). P: 24.

[28] Perrenet(S.D). P: 36.

[29] رياض، زاهر(د.ت). استعمار أفريقيا. القاهرة: مصر. دار القومية للطباعة والنشر. ص: 153.

[30] ذهني(1988)، ص: 59.

[31] باري، كردية، محمد، سعيد(2007). المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: 158.

[32] ليون غامبيتا (1838. 1882): زعيم الحزب الجمهوري اليساري المتطرف منذ عام 1871، وفيما بعد رئيس حكومة فرنسا 1881.1882. الكيالي، عبد الوهاب(د.ت). موسوعة السياسة. ج7. لبنان. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ج4. ص: 297.

[33] ذهني(1988)، ص:65.

[34] الجمل، إبراهيم، شوقي، عبد الله(2002). تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر. ط2. الرياض: السعودية. دار الزهراء. ص: 57.

إفريقيا: ((اليوم التجارة والصناعة الفرنسية تعيشان معاناة كبيرة، فأصبحت الحاجة ماسة إلى إيجاد مجالات حيوية في المستقبل، وأن أسواق العالم القديم تغلق كل يوم أمام منتوجاتنا الطبيعية والصناعية، نستطيع القول أنه لم يبقَ في الكرة الأرضية إلا منطقتين تستطيع فرنسا استعمارهما: الهند الصينية وأفريقيا...، الجزائر تقع في بوابة عالم أفريقيا ،وتشكل قاعدة صلبة تسهل علينا القيام بعملية منظمة، وما علينا إلا مد أيدينا لبناء إمبراطوريتنا داخل أفريقيا والسودان))[36].

وهكذا أدت الهزائم التي لحقت بفرنسا في أوروبا وأمريكا وآسيا إلى أزمة اقتصادية كبيرة، فتضافرت العوامل السياسية مع العوامل الاقتصادية في دفع فرنسا إلى ميدان التنافس الاستعماري ولكن هذه المرة في إفريقيا، لكي تعوض عن خسائرها في القارات الثلاث، ولكي تخرج نفسها من الأزمة الاقتصادية التي عانتها تجارتها وصناعتها، ولكن ما هو السبب الذي جعلها تهتم بالتوسع في السودان عموماً، والسيطرة على فاشودة خصوصاً؟

2.2. السبب المباشر:

كان السبب الرئيس الذي دفع فرنسا لاستعمار السودان هو منافسة إنكلترا في هذا الجزء من القارة الإفريقية، واحتواء طموحاتها التوسعية[37] الرامية إلى ربط مستعمرتها في مصر بمستعمرة كيب تاون[38] في جنوب إفريقيا[39]، وكذلك ربط ممتلكاتهم في شرق إفريقيا بممتلكات شركة النيجر الملكية[40] في إفريقيا الغربية[41] ومن هنا جاء الطموح الفرنسي في إنشاء مستعمرة في جنوب السودان؛ وذلك من أجل إزعاج إنكلترا وتهديد موقعها في مصر، عن طريق سيطرة فرنسا على أعالي النيل، وفصل مصر عن منابع النيل في أوغندا التي أصبحت محمية بريطانية[42]، حيث وقعت اتفاقية في 26 كانون الأول عام 1890 مع ملك أوغندة فرضت إنكلترا بموجبها حمايتها على أوغندا[43].

فضلاً عن طموح فرنسا في تأسيس مستعمرة كبيرة في إفريقيا تمتد من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر[44] وذلك عن طريق ربط مستعمراتها في غرب إفريقيا مع مستعمراتها في شرقها[45]، وقد بدأت فرنسا نشاطها في السودان منذ عام 1893 إلا أنها لم تنجح في تأسيس مستعمرة لها على النيل[46] فاكتفت بتأسيس مستعمرة الصومال الفرنسي وعاصمته جيبوتي[47].

إلا أن الصومال الفرنسي لم يكن يرضي طموح فرنسا في المنطقة، خاصة وأن مجرى النيل ما زال في متناول يد بريطانيا، كما أن احتلاله من شأنه أن يهدد موقع إنكلترا في مصر، ويرجع بابكور ذلك لإمكانية بناء سد عند مخارج البحيرات وملتقى السوباط مما

---

[35] محمد، قهاري(2016). دور سكان منطقة أزجر والقهار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى،. الجزائر. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد: 24. ص: 26.

[36] Rollano, G(1890) . La France en Afrique et le transsaharien. Paris: Le France. Augustin Challamel Editeur Librairie Algérienne Et Coloniale 5 rue Jacob 5. P: 10.

[37] Bory, P(S.D). A L'assaut de L'Afrique. Tours: Le France. Maison Alfred Mame et Fils. P :13.

[38] Bory(S.D). P: 10, 11.

[39] رياض، عبد الرسول، محمد، كوثر(2012). أفريقيا دراسة لمقومات القارة. القاهرة: مصر. مؤسسة هنداوي. ص: 476.

[40] شركة النيجر الملكية: شركة استثمارات إنكليزية بدأت نشاطها في نيجيريا عام 1886 بهدف منافسة كل من فرنسا وألمانيا على الجزء الغربي من القارة.
BAM British Academyof Nanagement 2013, this paper is from BAM 2013 conferenceProceedings, British. P 2, 7.

[41] بابكر، عمر(1997). حملة مارشان وأزمة فشودة 1315هـ/ 1898م. السعودية. مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة.ع 8. ص: 334.

[42] ضرار،صالح ضرار(1968). تاريخ السودان الحديث. ط3. بيروت: لبنان. دار مكتبة الحياة. ص: 206.

[43] شكري، محمد فؤاد(1963).مصر والسودان تاريخ وحدة وداي النيل السياسية في االقرن التاسع عشر 1820. 1899. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: 408.

[44] Curtis,C(1963). The Fashoda Crisis as Factor in the Development of Franch Foreign Affairs in the Third Republic. A Thesis Submitted to the Faculty of the Department of History in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of ARTS. In theGraduate College. The University of Arizona. USA. P: 9

[45] Curtis(1963). P: 3.

[46] ضرار(1968)، ص: 206،205.

[47] شكري(1963)، ص: 402.

يكفل زيادة موارد مصر من المياه، وإذا تأخر فتح الخزانات فإن ذلك سيؤدي إلى خفض حصة مصر إلى النصف، ومن جهة أخرى إذا فتحت هذه الخزانات دفعة واحدة فإن ذلك سيلحق بالزراعة المصرية كارثة كبيرة [48].

وبعد إجراء فرنسا دراسة كاملة عن نهر النيل وإمكانية تهديد بريطانيا عن طريقه، أصدر وزير المستعمرات الفرنسي ثيوفيل ديلكاس[49](Theophile Dalcasse) عام 1894 أوامره بمد النفوذ الفرنسي حتى النيل[50]، وقد ابتدأت فرنسا عملية الزحف نحو النيل عن طريق قواتها المرابطة في الكونغو[51] بقيادة فيكتور ليوتارد[52](Victor Liotard) حيث تعين عليها الزحف شرقاً على طول نهر أوبانغي(l'oubangui) والنيل، وقد ترتب على ذلك اصطدام فرنسا مع بلجيكا[53] التي كانت تسيطر على المنطقة الحدودية بين الكونغو والسودان، وكذلك على الجزء الأعظم من بحر الغزال[54]، بموجب الاتفاق الذي عقد بينها وبين إنكلترا في 12 أيار 1894[55]، وأمام هذه المشكلة عهد الرئيس الفرنسي سيدي كارنو[56](Sadi Carnot) إلى مونتيل بمهمة الذهاب إلى أعالي النيل[57]، على أن يحرص على الحفاظ على نقاط التقاطع بين أعالي النيل وأوبانغي، ورداً على ذلك نظم الإنكليز رحلة استكشافية من أوغندا خوفاً من أن يسبقهم الفرنسيون إلى أعالي النيل[58].

استقل مونتيل الطائرة إلى أعالي أوبانغي لينضم إلى لوتارد من أجل استكمال الزحف إلى النيل، ولدى وصول مونتيل إلى أعالي أوبانغي توصلت فرنسا إلى اتفاقية مع البلجيك حددت فيها الحدود الفرنسية والبلجيكية في كل من الكونغو والنيل، حيث اعترفت فرنسا لبلجيكا بمواقعهم على نهر النيل في الجنوب، على أن يخلي البلجيك مواقعهم في أوبانغي، وبعد هذه الاتفاقية تم استدعاء مونتيل لقتال ساموري في ساحل العاج، وبالتالي لم يعد هناك داع لاستكمال إنكلترا لمشروعها في اختراق نهر النيل من الجنوب؛ إذ توقف نشاط ليوتارد عند أوبانغي حيث كان عليه أن ينظم المقاطعات التي تخلى عنها البلجيكيون[59].

إلا أن فرنسا لم تلبث أن قررت في عام 1896استئناف خطتها في السيطرة على أعالي النيل، بسبب التوسع البريطاني المصري في السودان في الحروب التي ابتدأتها الدولتان للقضاء على الدولة المهدية وكان ذلك في 12 آذار 1896[60]، وقد علمت فرنسا بذلك عن طريق قنصلها في إنكلترا، حيث أخبره سالسبوزي برغبة إنكلترا بتدمير قوة المهديين[61]، وقد أثارت تحركات الإنكليز ثورة فرنسا، وقررت إحياء مشروعها القديم في إقامة مستعمرة فرنسية جنوب السودان، وجاء قرارها نتيجة إلحاح مارشان[62]، وكانت وجهة نظر مارشان أن الإنكليز سيعملون على طرد فرنسا من إفريقيا، لذلك يجب على فرنسا التحرك من أجل إحباط مخططات

---

[48] بابكور(1997)، ص: 318.

[49] ثيوفيل ديلكاس (1852. 1923): ولد في باميه(Pamiers)، رجل سياسي عمل في خدمة الحكومة الفرنسية منذ العام 1889 وحتى عام 1919.
http// data. Bnf. Fr.

[50] بابكور(1997)، ص: 321.

[51] وكانت فرنسا قد احتلت جزءً من الكونغو عام 1881، والذي أطلق عليه الكونغو الفرنسي. الجمل، إبراهيم(2002)، ص: 153.

[52] فيكتور ليوتارد(1858. 1916): ولد في الهند الفرنسية، درس في كلية الطب البحرية، بدأ عمله في السودان عام 1886 وفي عام 1891 كلف بعملية الكشف العلمي لنهر الكونغو حيث عين حاكماً لأوبانغي.

http// data. Bnf. Fr.

[53] Bory(S.D). P: 278.

[54] زلفو، رائد(د.ت). كرري تحليل عسكري لمعركة أم درمان. الخرطوم: السودان. دار التأليف والترجمة والنشر. ص: 176.

[55] شكري(1963)، ص: 415.

[56] سيدي كارنو(1837. 1894): ولد في مدينة ليموج(Limoges)، درس الفنون التطبيقية، تولى رئاسة فرنسا بين عامي 1887. 1894.

http// data. Bnf. Fr.

[57] Curtis(1963). P: 3,4.

[58] Bory(S.D). P: 278.

[59] Bory(S.D). P: 279.

[60] شكري(1963)، ص: 448.

[61] Curtis(1963). P: 11.

[62] بابكور(1997)، ص: 330

الإنكليز وذلك عن طريق احتلال فاشودة والسيطرة على البحر الأحمر[63]، للضغط على إنكلترا وجرها للدخول في مفاوضات مع فرنسا تنتهي بخروج إنكلترا من مصر[64]، لذلك قررت إرسال الحملة بقيادة مارشان لاحتلال فاشودة، وكان اهتمام فرنسا بفاشودة كما يورد بابكور "لأنها مفتاح مصر، بفضل موقعها الجغرافي على النيل عند ملتقى النيل بالسوباط، كما أنها تقع على امتداد الممتلكات الفرنسية"، حيث إن عملية الزحف إليها لا تتطلب الخروج عن الأراضي الفرنسية[65].

وكان على فرنسا أن تبرر حملتها تلك أمام الرأي العام العالمي والقوى الدولية المتصارعة على السودان عموماً وإنكلترا خصوصاً، ولكي ترضي الرأي العام أعلنت فرنسا أن حملة مارشان عبارة عن رحلة استكشافية وليست حملة عسكرية[66]، وأن مصر وإنكلترا قد أخلتا السودان، وهكذا يمكن اعتبار منطقة أعالي النيل منطقة لا يطالب بها أحد[67]،وهو في رأي الباحث ادعاء ضعيف جداً خاصة أن إنكلترا ومصر كانتا قد بدأتا عملية استرجاع السودان، وهذا يعني أن منطقة أعالي النيل تخضع لقانون عملية الاسترجاع؛ كون فاشودة كانت تقع ضمن ممتلكات الحكومة المصرية في السودان. (رأي الباحث).

أما حجة فرنسا أمام إنكلترا فهي أن الفوضى التي سادت منطقة أعالي النيل أبان حكم الدولة المهدية تشكل خطراً على مصالح فرنسا في أعالي الكونغو وأوبانغي[68]، ولكي تمتص فرنسا نقمة إنكلترا أعلنت بأن حملة الكونغو- النيل عبارة عن رحلة استكشافية[69].

يتبين مما سبق أن فرنسا كانت على يقين من نجاح الحملة بتهديد موقع إنكلترا في مصر والسودان، فقد كانت الحملة الإنكليزية المصرية لا تزال في طريق البداية في شمال السودان، فظنت فرنسا أنها عندما ستصل إلى فاشودة سيكون الجيش الإنكليزي بعيداً عنها، وأن جيش المهدية سيكون منهكاً بسبب القتال مع المصريين والإنكليز، ولن يكون لديهم الوقت للدفاع عن فاشودة بسبب الحرب التي كانوا يخوضونها مع المصريين والإنكليز، وبالتالي فلن يهتموا لفرنسا التي لن تقتطع منهم سوى فاشودة، ومن ثم كان استغلال فرنسا لحق الفتح وهو نفسه الحق الذي دخلت بموجبه إنكلترا الحرب إلى جانب مصر، لكي تحصل على حصة الأسد من تركة المهديين بهذه الحجة.

إذاً يمكن أن نضيف سبباً آخر دفع فرنسا إلى إرسال حملة الكونغو- النيل وهو استغلال فرنسا لذريعة إنكلترا للتدخل في السودان بموجب حق الفتح واندفاعها للسيطرة على فاشودة بموجب هذا الحق. (رأي الباحث).

ولما كان على فرنسا أن تهدئ من ردود فعل القوى المختلفة المتصارعة على السودان، فقد أعلنت أن حملتها تلك مجرد بعثة استشكافية، وهذا بدوره يبرر اختيار مارشان لقيادة الحملة، بسبب ذيوع شهرته كرحالة مغامر قام بالعديد من المهمات العلمية في وقت سابق. (رأي الباحث).

3. انطلاق الحملة:

وضعت فرنسا خطتها للوصول إلى أعالي النيل عن طريق الكونغو الفرنسية[70]، وأنهت فرنسا استعداداتها للحملة في آذار 1896، وغادر مارشان مرسيليا في 52 حزيران 1896[71] مع ثمانية ضباط ومترجم وطبيب و12 صف ضابط ومائتي جندي سنغالي[72]،

[63]Goode, J(1971). The Fashoda Crisis A Survey of Anglo- French Imperial Pollcy on the Upper Nile Question 1882- 1899. For the Degree of Doctor of philosophy. Denton Texas. USA. P: 157.

[64] حميدة، بشير(1969). صفحات من التركية والمهدية. الخرطوم: السودان. دار الرشاد. ص: 274.

[65] بابكور(1997)، ص: 318.

[66]- Degree(1971). P: 159.

[67] Curtis(1963). P: 4.

[68] Curtis(1963). P: 19.

[69] Degree(1971). P: 159.

وكانت الحكومة الفرنسية قد زودت مارشان بتعليمات مفادها أن يصعد نهر الكونغو ورافده أوبانغي[73] وصولاً إلى حوض بحر الغزال حيث تقع فاشودة على بعد بضع كيلومترات جنوباً[74]، على أن يقوم باستمالة المهديين لصالح فرنسا[75]، إذ لم يكن لدى فرنسا أي استعداد لخوض قتال معهم وكذلك مع الإنكليز، فحملة مارشان لم تكن حملة عسكرية وإنما حملة مدنية غرضها تأسيس منطقة نفوذ فرنسي في حوض النيل[76]، مما يضمن لها وسيلة تضغط بها على إنكلترا في حال نجاحها في فتح باب الحوار بشأن المسألة المصرية[77]، ومن هذا المنطلق أمرت الحكومة الفرنسية مارشان بإقامة علاقات طيبة مع المهديين وإن أمكنه أن يدخل معهم في تحالف ودي[78].

حطت حملة مارشان رحالها في مدينة وهران الجزائرية[79] ، ومن ثم أبحرت عن طريق المحيط الأطلسي إلى داكار في السنغال[80]، ومن ثم إلى الغابون[81]، ومن هناك اتجهت إلى بارازفيل(Brazzaville) في الكونغو[82]، وقد أدى اندلاع ثورة وطنية في الكونغو الأدنى إلى عرقلة سير الحملة، فأجبرتها على البقاء في بارازفيل[83] من أجل المساعدة في إخماد الثورة[84] حيث استأنفت سيرها في 1 آذار 1897[85]، ووصلت بانجي(Bangui) في أول نيسان، وإيد(Ida) في 12 أيلول[86].

وفي أثناء تقدم مارشان نحو النيل كان ليوتارد حاكم أوبانغي يتقدم باتجاه السودان في محاولة لفتح الطريق باتجاه فاشودة، وقد نجح ليوتارد في الاستيلاء على ديم الزبير في 17 أيلول 1897، وكان لسيطرته عليها من الأهمية لأنها تقع على ملتقى الطرق من كردفان ودار فور والكونغو، وبذلك يكون ليوتارد قد فتح طريقاً جديداً باتجاه

النيل[87]، ولدى وصول مارشان إلى نهر سويح الرافد الرئيس لبحر الغزال[88] تمكنت فرنسا من إحكام سيطرتها على بحر الغزال في نهاية آذار 1898، وسرعان ما قسم مارشان المنطقة إلى ثلاث مديريات تحت إمرة ضباط فرنسيين، وأبرق مارشان إلى حكومته يقول أن بحر الغزال بأكمله أصبح خاضعاً لفرنسا، وأن إنكلترا لن تتمكن من استعادته إلا بموافقة فرنسا أو بقرار من مؤتمر دولي.

إلا أن مارشان اضطر للتوقف عند بحر الغزال؛ بسبب انخفاض منسوب المياه مما جعل متابعة السير أمراً متعذراً، لذلك اضطرت الحملة للتوقف والانتظار حتى يرتفع منسوب المياه[89].

---

[70] Degree(1971. P: 156.
[71] Galland, G (S.D). Une poignee de heros la mission Marchand a travers l'Afrique. Limoges: La France. Eugene Ardant & C^ie Editeurs. P 31.
[72] بابكور(1997)، ص: 335.
[73] Galland, G (S.D). P 16.
[74] Galland, G (S.D). P 28.
[75] بابكور(1997)، ص: 330.
[76] بابكور(1997)، ص: 332.
[77] بابكور(1997)، ص: 333.
[78] بابكور(1997)، ص: 332.
[79] Perrenet(S.D). P: 94.
[80] Perrenet(S.D). P: 97.
[81] Perrenet(S.D). P: 98.
[82] Perrenet(S.D). P: 100.
[83] بابكور(1997)، ص: 335.
[84] Degree(1971). P: 162.
[85] Teisseire, R(1898). Marchand et Fachoda. Marseille: Le France. Typographieet Lithographie Barlatier Rue Venture 19. P: 12.
[86] بابكور(1997)، ص: 335، 336.
[87] بابكور(1997)، ص: 334، 335.
[88] بابكور(1997)، ص: 336.
[89] بابكور(1997)، ص: 338.

إلا أن فرنسا لم تتوقف عن العمل بتوقف حملة مارشان؛ حيث كانت تعد حملة أخرى على أرض الحبشة الصديقة وبمساعدتها، وكانت غاية الحبشة من هذا التحالف هو الحصول على الأراضي الواقعة على الضفة اليمنى من النيل الأبيض وحتى الخرطوم، وهي الأراضي التي تدعي أن لها حق تاريخي فيها، وقد وافقت فرنسا على اقتطاعها إياها على أن تكون لفرنسا السيطرة على الأراضي الواقعة على الضفة اليسرى[90]، إلا أن اندلاع الثورات في الإمبراطورية الحبشية حال دون إرسال الحملة؛ إذ اضطرت الحبشة إلى توجيه قواتها لقتال المتمردين، فاضطرت فرنسا إلى إرسال حملة بقيادة الفرنسي بونشامب(Bonchamps) دون تعزيزات.

خرج بونشامب من الحبشة باتجاه النيل، وكانت قواته تناوش القبائل على طول الطريق[91]، إلى أن وصلوا إلى نهر السوباط في 22 حزيران1898[92] ، حيث اضطرت الحملة للتوقف هناك؛ إذ لم يجدوا زوارق للعبور إلى الضفة الأخرى، وسبب ذلك أن إنكلترا كانت قد استمالت القبائل وعبئتهم ضد الفرنسيين، مما اضطرهم للتراجع والعودة إلى الحبشة[93].

أما مارشان فقد تابع سيره في 4 حزيران 1898، ووصلت النيل في 4 تموز وفاشودة في 10 تموز، وتم رفع العلم الفرنسي فوق بقايا القلعة المصرية القديمة[94].

السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا اختارت فرنسا الانطلاق من غرب إفريقيا بدلاً من الصومال الفرنسي الأقرب إلى فشودة؟

إذا ما عدنا إلى الوراء قليلاً نجد أن فرنسا اختارت احتلال فاشودة؛ نظراً لأنها تقع على امتداد الممتلكات الفرنسية، حيث إن عملية الزحف إليها لا تتطلب الخروج عن الأراضي الفرنسية، هذا ما يفسر اتخاذ قواعدها في غرب إفريقيا نقطة انطلاق الحملة، فلو أنها انطلقت من الصومال الفرنسي فإن ذلك يتطلب موافقة الحبشة على العبور من أراضيها، فضلاً عن اضطرارها لقتال المهديين على الطريق إلى فاشودة، وهذا ما يخالف ما أعلنته فرنسا في وقت سابق من أن الحملة عبارة عن بعثة استكشافية. (رأي الباحث)

إن خط سير الحملة يظهر بوضوح أسباب تأخرها في الوصول إلى فاشودة، فلو أن طريقها كان ممهداً ويسيراً لوصلت إلى فاشودة في وقت مبكر، فسيكون لديها الوقت الكافي لبناء خزانات على النيل قبل أن تسقط الدولة المهدية. (رأي الباحث)

أما عن موقف الحبشة وسبب تعاونها مع الفرنسيين فيظهر بوضوح أن هذا التعاون كان كرد فعل على دخول إنكلترا الحرب مع المصريين، وقد أدركت الحبشة تماماً أن أحلامها التاريخية في السيطرة على مناطق حوض النيل باتت مستحيلة التحقق، وقد أدرك الفرنسيون هذه الحقيقة فعملوا على استغلال الحبشة في حملتها على فاشودة، طالما أن مطالب الحبشة لا تشكل خطراً على المخطط الفرنسي، فضلاً عن أنها ستشكل درعاً يصد التمدد الإنكليزي في أعالي النيل، الحبشة على الضفة اليمنى وفرنسا على يسارها.(رأي الباحث).

4. الفرنسيون في فاشودة:

كانت فاشودة تحت حكم عبد الفضيل[95] أمير الشلك الذي كان يدين بالولاء للدولة المهدية، ولما لم يكن مرشان قد أتى إلى فاشودة لقتال المهديين فقد عمد إلى استمالة عبد الفضيل، وإقناعه أن الدولة المهدية لابد ستسقط على يد الإنكليز، وأنهم في طريقهم إلى

[90] Degree(1971). P: 164.
[91] Perrenet(S.D). P: 115.
[92] Degree(1971). P:172.
[93] Perrenet(S.D). P: 115.
[94] بابكور(1997)، ص: 339.
[95] بابكور(1997)، ص: 341.

فاشودة، لذلك فإن وجود الفرنسيين في فاشودة من شأنه أن يحمي الشلك من دخول الإنكليز إلى المنطقة[96]، ولكي يطمأنوا عبد الفضيل لوجودهم أكد له مارشان أن الفرنسيين يحترمون سيادته على فاشودة ولن ينتزعوا منه عرشه[97].

اقتنع عبد الفضيل بوعود الفرنسيين ورحب بهم ترحيباً شديداً، إلا أن أحد أفراد حاشيته بدأ يحيك الدسائس ضد مارشان وجنوده، فأخذ يذكر سيده بأن فاشودة ملك للخليفة عبد الله التعايشي[98]، وأنه سيغضب كثيراً إذا علم بأمر تحالفه مع الفرنسيين، مما أثار مخاوف عبد الفضيل، ولكي يتجنب تصدع العلاقات مع الخليفة انقلب عبد الفضيل ضد الفرنسيين وأراد محاربتهم، فأرسل إلى الخليفة في طلب النجدة[99].

هذه الخطوة التي خطاها عبد الفضيل تدل على أنه مستعد لمهادنة أي طرف بما تقتضيه مصلحته، وكان مما دفعه لخيانة الفرنسيين فضلاً عن دسائس حاشيته أن القوة الفرنسية صغيرة جداً، وتخوَّف من عدم مقدرتها على الصمود في وجه الإنكليز، وخاصة أن الفرنسيين أكدوا له على أنهم قادمون لا محالة، لذلك لم يردعه رادع عن الاتصال بالمهديين وإعطائهم جميع المعلومات عن القوة الفرنسية المرابطة في فاشودة[100].

ولما وصلت رسل عبد الفضيل إلى الخليفة تخبره بما حل بفاشودة سارع على الفور بإنجادهم، فأرسل باخرتين وأحد عشر مركباً بقيادة سعيد صغير[101] أبحرت جميعها باتجاه فاشودة.

كان مارشان في تلك الأثناء يعمل على تحصين فاشودة[102] تحسباً لحدوث صدام مع الإنكليز، ولم يكن في حسبانه أنه سيصطدم مع المهديين، وفي 24 آب 1898 حمل إليه رجاله خبر ظهور مراكب المهديين بالقرب من فاشودة[103]، فأصدر أوامره على الفور ببناء قلعة صغيرة للدفاع عن فاشودة[104]، إلا أن المهديين لم يقوموا بالهجوم مباشرة وإنما أوفدوا أحد رجالهم إلى مارشان يخبره بأن فاشودة ملك الخليفة، وعلى الفرنسيين إخلاؤها على وجه السرعة، إلا أن مارشان رد عليه بأن فاشودة ملك لفرنسا بموجب حق الفتح فليذهب إلى سيده ويخبره بذلك، وكان رد مارشان هذا إنذاراً بالحرب بين الطرفين[105].

وفي صباح اليوم التالي في 25 آب 1898[106]، صوبت سفن المهديين مدافعها باتجاه قلعة فاشودة لتبدأ الحرب بين الطرفين، ولكن من سوء طالع المهديين أن طاقم الأسطول كان يفتقر للمهارة والدقة بالتصويب، فلم يتمكنوا من هدم تحصينات الفرنسيين، وفي الوقت نفسه تمكن الفرنسيون من ضرب إحدى السفن وإعطابها[107].

وبعد قتال دام سبع ساعات[108] أسقط الفرنسيون خلالها تسعين مهدياً ما بين قتيل وجريح[109]، بينما لم تتعدَّ خسائر الفرنسيين أكثر من ثمانية رجال[110]، انسحبت البواخر من ميدان القتال، وعادت أدراجها لتخبر سيدها سعيد صغير بنبأ الهزيمة.

---

96 Perrenet(S.D). P: 116.

97 Galland, G (S.D). P: 214.

98 عبد الله التعايشي(1846. 1899): من أوائل الذين التحقوا بالثورة المهدية، ولد في الكلكة جنوب دارفور وينتمي إلى قبيلة التعايشة التي تنحدر من قبيلة البقارة، تولى الحكم بعد وفاة المهدي في رمضان 1302هـ/ 1885 م. فوزي، إبراهيم(1902). السودان بين يدي غوردون وكتشنر. مصر. مطبعة المؤيد. ج 2، ص: 61. 76.

99 Perrenet(S.D). P: 117.

100 بابكور(1997)، ص: 341.

101 شقير، نعوم(1981). تاريخ السودان. تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص: 941.

102 Perrenet(S.D). P: 118.

103 Perrenet(S.D). P: 122.

104 بابكور(1997)، ص: 341.

105 Perrenet(S.D). P: 121, 122.

106 شقير(1981)، ص: 941.

107 بابكور(1997)، ص: 341.

108 بابكور(1997)، ص: 442.

109 شقير(1981)، ص: 941.

110 بابكور(1997)، ص: 342.

غضب سعيد صغير من خبر الهزيمة غضباً شديداً، وأقسم على أن يردها للفرنسيين[111]، فجمع ما لديه من قوات حتى بلغ عدد جنوده ستة آلاف، وذهب على رأسهم إلى فاشودة لكن هذه المرة عن طريق البر، ووصل مع قواته إلى القرب من فاشودة في 29 آب[112]، وصادف أن وصلت التعزيزات الفرنسية إلى مارشان مع وصول المهديين، وكانت التعزيزات قادمة من الغرب محملة بالسفن والذخائر[113]، فذعر سعيد صغير مما رآه فتخلى عن عزمه في مهاجمة فاشودة[114].

الجدير بالذكر أن عبد الفضيل عندما رأى كيف هزمت فرنسا بعدد قواتها القليل المهديين وافق على توقيع اتفاقية مع الفرنسيين، إلا أن مارشان لم يكن ينسى غدر عبد الفضيل به، لذلك اشترط أن تكون لفرنسا السيادة العليا في فاشودة، مما يعني خضوع عبد الفضيل للفرنسيين[115]، ولم يكن أمام عبد الفضيل سوى الموافقة على شرط مارشان، وتم توقيع الاتفاقية في 3 أيلول 1898 التي فرضت فرنسا بموجبها الحماية الفرنسية على فاشودة[116].

لقد نجح المهديون في اختيار التوقيت المناسب للهجوم على الفرنسيين، فقد كان عددهم قليلاً جداً، وكانوا مرهقين من جراء السير الطويل عبر الأدغال والمستنقعات، ومن ثم لم يكن لديهم الوقت الكافي لتحصين فاشودة، لذلك تعد هزيمة المهديين أمراً مخزياً، ومن ثم كان لوصول الإمدادات الفرنسية أن قضت على أمل سعيد صغير في هزيمة الفرنسيين، وفي رأي الباحث لو أن المهديين نجحوا في تسديد ضرباتهم لانتصروا على الفر نسيين وتمكنوا من إجلائهم عن فاشودة، ولا نتظروا صدامهم المقبل مع الإنكليز فيها. (رأي الباحث).

5. جلاء الحملة:

قبل الحديث عن الموقف الإنكليزي لدى وصول الحملة الفرنسية إلى فاشودة، لابد من إلقاء الضوء على موقف إنكلترا عند انطلاق الحملة، فقد كانت إنكلترا على علم بحملة الفرنسيين منذ البداية وذلك عندما أخبر ديلكساس السفير البريطاني في فرنسا إدموند مونسون(Edmund Monson) بأن مارشان يقود بعثة استكشافية فرنسية إلى السودان المصري[117]، إلا أن إنكلترا كانت واثقة بأن حملة مارشان لم تكن كذلك وإنما من أجل عرقلة نشاط إنكلترا في القارة الإفريقية[118]، كما أبدت اهتماماً بإمكانية وصول الفرنسيين إلى نهر النيل، ومع ذلك قرر سالسبوزي بأن تأخذ الأمور مجراها وبذلك ساعد على تحديد مسرح التصادم في فاشودة[119].

علم هربرت كتشنر[120](Herbert Kitchener) . قائد الحملة المصرية.

---

[111] بابكور(1997)، ص: 442.
[112] بابكور(1997)، ص: 344.
[113] Perrenet(S.D). P: 123.
[114] بابكور(1997)، ص: 345.
[115] Perrenet(S.D). P: 123.
[116] بابكور(1997)، ص: 345.
[117] Degree(1971). P: 181.
[118] Curtis(1963). P: 10
[119] Curtis(1963). P: 11, 12.
[120] هربرت كتشنر(1850. 1916): إنجليزي الأصل إيرلندي المولد، التحق بالأكاديمية الحربية عام 1868، والتحق بالجيش عام 1871، سافر إلى فلسطين عام 1874 للمشاركة في التنقيب عن الآثار، وفي عام 1878 شارك في وضع تقرير عن قبرص، سافر إلى مصر عام 1882 وشارك في قمع الثورة العرابية، وأرسل عام 1884 في حملة على السودان، وفي عام 1886 عين مديراً لإقليم البحر الأحمر، وتم نقله عام 1888 للعمل في الجيش المصري، وعام 1890 عين لواءً في الجيش المصري في السودان، إلى أن كلف بقيادة الحملة عام 1896. الغمراوي، عبد الحليم(1916). تاريخ حياة اللورد كتشنر. مصر. مطبعة المعارف. ص: 9. 42.

الإنكليزية على السودان . باقتراب الحملة الفرنسية من النيل في شهر آذار[121] عندما كان يحشد قواته في بربر[122]، وقد أمرته حكومته قبل معركة كرري بشهر بأن يذهب بنفسه إلى فاشودة ويخبر مارشان بأنه ليس لهم الحق في البقاء في المنطقة، ووجودهم فيها ما هو إلا خرق لسيادة مصر وسيادة إنكلترا في أعالي النيل[123].

وبعد الانتهاء من معركة كرري أبحر كتشنر في العاشر من أيلول مع خمس بواخر إلى فاشودة[124] وقبل وصوله إليها أرسل إلى مارشان يخبره بأمر انتصاره على المهديين وأنه في طريقه إلى فاشودة[125]، فرد عليه مارشان مهنئاً إياه بالنصر، وأخبره أنه في فاشودة بناءً على أوامر من حكومته[126]، وقد رحب باسم الحكومة الفرنسية بوفد كتشنر[127].

وصل كتشنر فاشودة في 21 أيلول وأرسل إلى مارشان يطلب منه الحضور[128]، فالتقى القائدان على ظهر إحدى البواخر، فطلب كتشنر من مارشان إخلاء فاشودة لما في بقائهم بها من انتهاك لحقوق مصر وإنكلترا، إلا أن مارشان رد عليه بأنه لا يعارض النفوذ المصري في فاشودة، وأنه جاء إليها بأوامر من حكومته ولن ينسحب إلا بأوامر منها[129]، وأبلغه بأنه لا مانع له من رفع العلم المصري في فاشودة، شريطة أن يبقى العلم الفرنسي[130]،رفع كتشنر العلم المصري في فاشودة على بعد 500 ياردة من العلم الفرنسي[131]، وبعد أن ترك حامية إنكليزية في فاشودة[132] تابع سيره جنوباً إلى أن وصل في 23 أيلول 1898 إلى مصب نهر السوباط على بعد 62 ميلاً من فاشودة، حيث رفع العلمين وعين حامية فيها[133] ثم قفل عائداً إلى أم درمان[134].

ومن أم درمان أبرق كتشنر إلى الحكومة المصرية يخبرهم بأمر المحادثات التي جرت بينه وبين مارشان، فاعترض الخديوي عباس حلمي الثاني على بقاء الفرنسيين في فاشودة وفوض الحكومة الإنكليزية لحل المشكلة، فأرسلت الحكومة الإنكليزية للحكومة الفرنسية بضرورة الانسحاب من فاشودة لأنها من حق الحكومة المصرية[135] وإنكلترا، وذلك بموجب حق الفتح لما قدمته من خدمات مالية[136] وعسكرية لمصر في حربها مع الثورة المهدية[137]، إلا أن فرنسا رفضت الانسحاب في البداية وردت على إنكلترا بأن الخديوي قد تخلى عن السودان وأعلن عن ذلك رسمياً في عدة مناسبات منها إعلان غوردون عام 1884 بتخلي مصر عن السودان، وقراءته للفرمان الذي زوده به الخديوي، والذي أعلن فيه عن إعادة السودان للحكم المحلي كما كان عليه قبل الحكم المصري، وكذلك كتاب رئيس وزراء مصر لأمين باشا حاكم مديرية خط الاستواء عام 1885 يعلمه فيه بأن مصر أجبرت على التخلي عن المديرية تحت ضغط انتصارات جيش المهدية، كما احتجت فرنسا بالاتفاقية التي عقدتها إنكلترا مع ملك أوغندا التي

---

[121] F.O. 407. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to June 1898. P: 64.

[122] شكري(1963)، ص: 473.

[123] حميدة(1969)، ص: 276.

Curtis(1963). P: 22.

[124] شقير(1981)، ص: 941.

[125] حميدة(1969)، ص: 277.

[126] شكري(1963)، ص: 478.

[127] تشرشل، و(2002). حرب النهر تاريخ الثورة المهدية. ترجمة: عز الدين محمود. مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص: 284.

[128] شكري(1963)، ص: 481.

[129] حميدة(1969)، ص: 277، 278.

[130] شقير(1981)، ص: 942.

[131] تقرير المخابرات البريطانية رقم 60(2020). ترجمة: البشير محي الدين. جوبا: جنوب السودان. دار رفيقي ، ص: 51.

[132] حميدة(1969)، ص: 278.

[133] تشرشل(2002)، ص: 286.

[134] شكري(1963)، ص: 481.

[135] شقير(1981)، ص: 943.

[136] كانت إنكلترا قد أقرضت مصر 798،803 جنيهاً، لتتنازل عن هذا المبلغ لمصر في شهر تموز عام 1898، لكي تكون ذريعة بيد إنكلترا في عملية حكم السودان. شكري، ص: 493.

[137] حميدة(1969)، ص: 280.

أصبحت أوغندا بموجبها محمية إنكليزية، وكانت قبل ذلك تتبع مديرية خط الاستواء المصرية، وبناءً على ذلك تمسكت فرنسا بمنطقتي بحر الغزال وفاشودة، وذلك بموجب حق الفتح بحكم زوال السيادة المصرية عن تلك المناطق، فردت عليها إنكلترا بأن مصر قد تخلت عن حقوقها في السودان مؤقتاً، وأنها استعادتها بمجرد القضاء على الدولة المهدية[138]،ومن ثم غيرت إنكلترا لهجتها وصعدت من طريقة مخاطبتها مع فرنسا ففي 9 أيلول أعلن سالسبوري أن جميع أراضي السودان ملك للحكومتين الإنجليزية والمصرية بموجب حق الفتح[139]، وخيرت فرنسا بين الانسحاب أو الحرب، فاختارت فرنسا الحرب.

وهكذا بدأ البلدان يستعدان للحرب المقبلة إلى أن أذعنت فرنسا لأمر الانسحاب وأعلنت على لسان وزير خارجيتها ثيوفيل ديلكاس في 4 تشرين الثاني 1898 بأن فرنسا ستنسحب من فاشودة[140]، وجاء قرارها هذا بسبب الاضطرابات الداخلية التي عمت فرنسا على أثر الثورة الإشتراكية التي اندلعت فيها، ونشوب الحروب الأهلية[141]، وبالتالي وجدت فرنسا نفسها غير قادرة على حرب إنكلترا فقررت التنازل عن فاشودة، حيث قام مارشان بإنزال العلم الفرنسي في 11 كانون الأول [142]، وبذلك انتهت حملة مارشان التي كلفت الخزينة الفرنسية مليون وأربعمئة فرنك[143].

على الرغم من أن إنكلترا لم تعلن عن رغبتها الاستعمارية في احتلال السودان حتى لقائها مع الفرنسيين في فاشودة، وذلك عندما رفعت ورقة حق الفتح في وجه فرنسا، إلا أن فرنسا كانت تدرك منذ البداية أهداف إنكلترا من وراء الحرب في السودان، لذلك أطلقت حملة مارشان مع انطلاق الحملة المصرية الإنكليزية متسلحة بحق الفتح، إلا أن إنكلترا نجحت في تنكيس علم فرنسا بموجب حق الفتح، أي أنها حاربت حق الفتح الفرنسي بحق الفتح الإنكليزي وأنكرت على فرنسا حقها.

إلا أن نصرها على فرنسا لم يكن بسبب هذه المناورة السياسية وإنما بسبب قوتها العسكرية، فقد كان في السودان جيش كامل من الإنكليز بكامل عدته وعتاده، بينما لم يكن للفرنسيين سوى عدد قليل من الجنود في مكان بعيد جداً عن مركز الإمداد في إفريقيا الغربية، أي أن انتصار إنكلترا السياسي لم يكن لأسباب سياسية وإنما لتفاوت القوة العسكرية بين القوتين. (رأي الباحث)

الخاتمة:

يستنتج مما سبق:

1. كانت حملة الكونغو. النيل جزءاً من التنافس الفرنسي . الإنكليزي على مصر وليس السودان، ذلك التنافس الذي بدأ منذ حملة نابيلون بونابرت على مصر عام 1798 ولم ينتهي حتى تاريخ اللقاء الفرنسي الإنكليزي في فاشودة عام 1898.
2. لم تكن حملة الكونغو- النيل تعمل وحدها بل كانت هناك حملة ليوتارد حاكم إقليم أوبانغي في الكونغو والتي فتحت الطريق أمام مارشان إلى السودان بسيطرتها على بحر الغزال مما سهل على مارشان عملية اختراق أراضي السودان.
3. كما كانت هناك حملة فرنسية يتم الإعداد لها في أراضي الحبشة على أن تكون مدداً لحملة مارشان، إلا أنها فشلت في الوصول إلى مآربها بسبب عدم التحضير لها بشكل مناسب.
4. لم تكن حملة الكونغو. النيل حملة عسكرية؛ وإنما كانت مناورة سياسية للوصول إلى أغراض سياسية، وهذا ما يفسر العدد القليل للجنود المرافقين للحملة.

---

[138] حميدة(1969)، ص: 279.

[139] F.O. 407. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. July to December 1898. P: 33.

[140] حميدة(1969)، ص: 280.

[141] Curtis(1963). P: 33.

[142] تشرشل(2002)، ص: 290.

[143] Documents diplomatiques Francais 1871J 1914 Serie 1 Tome 12. Paris: France. Ministere des Affaires Etrangeres. P: 322.

5. تأخرت الحملة في الوصول إلى فاشودة بسبب طول المسافة التي قطعتها عبر أدغال الكونغو، وما عانته من صعوبات بسبب طبيعة الأرض المليئة بالمستنقعات، فضلاً عن نشوب الثورة الوطنية ضد الحكم الفرنسي في الكونغو والتي ساهمت بدورها في تأخير الحملة.
6. كانت ردة فعل المهديين اتجاه الحملة مفاجئاً لمارشان، فهو قد دخل سلماً، وهادن أمير فاشودة، وسيطر على المدينة بالسلم، فهو لم يأت للحرب، فكانت حربه مع المهديين خارجة عن حساباته ولولا قلة خبرة المهديين بالحرب لحلت كارثة بالحملة الفرنسية.
7. وأخيراً لم تنجح الحملة الفرنسية في تحقيق أي من أهدافها عدا وصولها إلى فاشودة واحتلالها بشكل مؤقت، فهي لم تنجح في تهديد موقع إنكلترا في مصر، ولم تنجح في جر إنكلترا للمحادثات التي ستفضي إلى جلائهم عن مصر، وإنما دفعت إنكلترا للاستعداد لقتال فرنسا، كيف ولا وإنكلترا أصبحت سيدة الموقف في كل من مصر والسودان، كيف ولا والحملة الفرنسية كانت عبارة عن عدة جنود قلائل في مقابل جيش إنكلترا الجرار الذي غزا السودان لتوه.

وعلى هذه الصورة تجسد فشل فرنسا في إجراء مفاوضات مع إنكلترا وهو الهدف الرئيس للحملة، بل على العكس ساهمت في دخول إنكلترا إلى فاشودة دون أن تخسر إنكلترا طلقة واحدة، فبخروج فرنسا من فاشودة آلت السيادة تلقائياً لمصر ومن ورائها إنكلترا اللتين كانتا ترفعان علميهما هناك منذ أيلول 1898.

المراجع References:

1. Archives nationales :site de Paris, N0 de notice.
2. Documents diplomatiques Francais 1871J 1914 Serie 1 Tome 12. Paris: France. Ministere des Affaires Etrangeres. P: 814.
3. F.O. 407. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. January to June 1898. P: 175.
4. F.O. 407. Further Correspondence Respecting the Affaies of Egypt. July to December 1898. P: 276.

تقرير المخابرات البريطانية رقم 60(2020). ترجمة: البشير محي الدين. جوبا: جنوب السودان. دار رفيقي . ص: 370.

5. Bory, P(S.D). A L'assaut de L'Afrique. Tours: Le France. Maison Alfred Mame et Fils. P: 398.
6. Galland, G (S.D). Une poignee de heros la mission Marchand a travers l'Afrique. Limoges: La France. Eugene Ardant & Cie Editeurs. P: 240.
7. La Chatelier, A(1899) . L'islam Dans L'Afrique Occidentale. Paris: Le France. G. Steinheil Editeur 2 Rue Casimir Delavigne 2..P: 376.
8. 5-Perrenet(S.D). Fachoda l'epopee de Marchand. Limoges: Le France. Marc Barbou Editeur Rue Puy- Vieille- Monnaie. P: 143.
9. 6-Poirier, J(S.D). de l'Oubanghi a Fachoda Marchand et la Mission Congo- Nil. Paris : France. J'Lefort, Imprimeur, Editeur A'Taffin- Lefort, Successeur Lille. P: 144.
10. Rollano, G(1890) . La France en Afrique et le transsaharien. Paris: Le France. Augustin Challamel Editeur Librairie Algérienne Et Coloniale 5 rue Jacob 5. P: 131.
11. Teisseire, R(1898). Marchand et Fachoda. Marseille: Le France. Typographieet Lithographie Barlatier Rue Venture 19. P: 22.
12. Wahl, M(1896) . La France aux colonies. Paris: Le France. ancienne maison quanin librairies imprimeries réunîtes May & motteroz directeurs. P: 304.

13. تشرشل، و(2002). حرب النهر تاريخ الثورة المهدية. ترجمة: عز الدين محمود. مصر. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص: 354.

14. شقير، نعوم (1981). تاريخ السودان. تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم. بيروت: لبنان. دار الجيل. ص: 1024.

15. الغمراوي، عبد الحليم (1916). تاريخ حياة اللورد كتشنر. مصر. مطبعة المعارف. ص: 64.

16. . فوزي، إبراهيم (1902). السودان بين يدي غوردون وكتشنر. مصر. مطبعة المؤيد. ص: 364.

17. Bernus, E(1960). Kong et sa Regin Etudes Eburneennes. Direction de la Recherche Scientifique Ministere de L'education Nationale de la Republique de Cote D'ivoire_ Abidjan. P: 356.
18. Curtis, C(1963). The Fashoda Crisis as Factor in the Development of Franch Foreign Affairs in the Third Republic. A Thesis Submitted to the Faculty of the Department of History in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of ARTS. In theGraduate College. The University of Arizona. USA. P: 106.
19. Goode, J(1971). The Fashoda Crisis A Survey of Anglo- French Imperial Pollcy on the Upper Nile Question 1882- 1899. For the Degree of Doctor of philosophy. Denton Texas. USA. P: 235.

20. إبراهيم، عبد الله (1989). المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا. الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. ص: 243.
21. باري، كردية، محمد، سعيد (2007). المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة. بيروت: لبنان. دار الكتب العلمية. ص: 343.
22. الجمل، إبراهيم، شوقي، عبد الله (2002). تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر. ط2. الرياض: السعودية. دار الزهراء. ص: 461.
23. حميدة، بشير (1969). صفحات من التركية والمهدية. الخرطوم: السودان. دار الرشاد. ص: 302.
24. ذهني، إلهام (1988). جهاد الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي 1850ـ 1914. الرياض: السعودية. دار المريخ. ص: 271.
25. رياض، زاهر (د.ت). استعمار أفريقيا. القاهرة: مصر. دار القومية للطباعة والنشر. ص: 461.
26. رياض، عبد الرسول، محمد، كوثر (2012). أفريقيا دراسة لمقومات القارة. القاهرة: مصر. مؤسسة هنداوي. ص: 566.
27. زلفو، رائد(د.ت). كرري تحليل عسكري لمعركة أم درمان. الخرطوم: السودان. دار التأليف والترجمة والنشر. ص: 710.
28. شكري، محمد فؤاد (1963). مصر والسودان تاريخ وحدة وداي النيل السياسية في االقرن التاسع عشر 1820ـ 1899. القاهرة: مصر. دار المعارف. ص: 571.
29. ضرار، صالح ضرار (1968). تاريخ السودان الحديث. ط3. بيروت: لبنان. دار مكتبة الحياة. ص: 310.
30. الكيالي، عبد الوهاب (د.ت). الموسوعة السياسة. ج7. لبنان. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص: 5431.
31. العلي، حلا (2020). دور إمبراطورية الماندنغو في السودان الغربي في مقاومة الاستعمار الفرنسي 1874ـ 1898. رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر. قسم التاريخ. كلية الآداب والعلوم الكلية الآداب والعلوم الإنسانية. جامعة دمشق. دمشق: سوريا. ص: 158.
32. République De Cote d'Ivoire, version provisoire, Quatrième rapport national sur la convention de la diversité biologique, Mars 2009. P 29.
33. BAM British Academy of Nanagement 2013, this paper is from BAM 2013 conference Proceedings, British. P: 23.
34. Journal official de la République françaisé Lois et décrets Parlementaires, chambre des députes, 27 Juin 1895. P 1851-1874.
35. بابكر، عمر (1997). حملة مارشان وأزمة فشودة 1315هـ/ 1898م. السعودية. مجلة جامعة أم القرى للبحوث العلمية المحكمة. ع 8. 313. 368.
36. محمد، قهاري(2016). دور سكان منطقة أزجر والقهار في مقاومة الاستعمار الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى،. الجزائر. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. العدد: 24. ص: 25. 39.
37. http// data. Bnf. Fr.